

"تقييم: مرور عام على تأسيس تنظيم داعش الإرهابي"

هاجر علي*

أثار الإعلان عن تأسيس تنظيم داعش الإرهابي وتمدد نطاق سيطرته منذ يونيو ٢٠١٤ على مساحات واسعة من الأراضي العراقية والسورية، وما يمثله ذلك من تهديدات خطيرة على أمن واستقرار منطقة الشرق الأوسط والعالم، حيث تزايدت اهتمامات المراكز البحثية بالقضية ومنها معهد دراسات الأمن الوطني الإسرائيلي الذي نشر تقريراً أعده المحلل العسكري والخبير في شؤون الإرهاب "يورام شويتزر" بعنوان "عام على تأسيس الدولة الإسلامية: مغامرة البغدادي ناجحة حتى الآن"، كما نشر مركز كرون لدراسات الشرق الأوسط التابع لجامعة برانديس الأمريكية اليهودية تقريراً مماثلاً أعده أستاذ العلوم السياسية "ديفيد سيدهارث باتيل"، حول التنظيم تحت عنوان: "داعش الآن: ما الخطأ الذي حدث ولماذا لا يمكن استرجاع ما حدث في عام ٢٠٠٧؟".

ويشير "يورام" إلى أنه بعد مرور عام على مشروع تأسيس تنظيم داعش الإرهابي (الدولة الإسلامية) أصبح التنظيم يسيطر وبشكل مستقل على مناطق تشكل متحدة بقعة جغرافية ذات أهمية من دولتي العراق وسوريا، وهذا يعتبر في رأي يورام بمثابة مغامرة ناجحة قام بها ما يدعي بأنه الخليفة "أبو بكر البغدادي".

عوامل نجاح داعش:

لقد فشلت محاولات اغتيال البغدادي خلال العام الماضي رغم ما تمثله عمليات اغتيال القيادات الكبرى من أهمية في مجال مكافحة الإرهاب، كما فشلت العمليات العسكرية الجوية التي يتولاها

* باحثة بالمركز القومي لدراسات الشرق الأوسط.

¹ Yoram Schweitzer, "One Year since the Establishment of the Islamic State: Al-Baghdadi's Successful Gamble", *The Institute for National Security Studies*, Thus Far, INSS Insight No. 715, June 29, 2015.

² David Siddhartha Patel, "ISIS in Iraq: What We Get Wrong and Why 2015 Is Not 2007 Redux", *Crown Center for Middle East Studies*, Brandeis University, Massachusetts, U.S.A, January 2015, No. 87.

التحالف الدولي - العربي المشترك بقيادة الولايات المتحدة، في إسقاط مشروع التنظيم الإرهابي، رغم تراجع أولوية منطقة الشرق الأوسط في السياسة الخارجية الأمريكية.

ويرى "يورام" أن هناك عدد من العوامل ساهمت في استمرار تنظيم داعش والحيلولة دون انهياره رغم أنه في إبريل ٢٠١٣ بدأت حركة توسعات تنظيم داعش تتوقف، رغم إدعاء التنظيم بأنه مازال يُجني مكاسب إقليمية جديدة، مثال على ذلك سيطرته على مدينتي الرمادي العراقية، وتدمير السورية، وتكبد التنظيم خسائر بشرية (مقاتلين) كُثر في كلا البلدين، إلا أنه يمكن تحديد عوامل نجاح التنظيم فيما يلي:

أ- استمرار عمليات تدفق المقاتلين الجدد في صفوف التنظيم، وذكر "يورام" وفقاً لتقارير غربية منشورة أن أعداد المنضمين إلى التنظيم في تزايد مطرد، وقد تجاوز بالفعل العدد الإجمالي للمجاهدين المتطوعين في أفغانستان خلال فترة الثمانينات لمحاربة القوات السوفيتية.

ب- محدودية نتائج العمليات العسكرية للتحالف الدولي ضد تنظيم داعش خلال العام الماضي والتي تركزت في شن ضربات جوية وتقديم التدريب والاستشارات للقوات العراقية، حيث لم تؤد الغرض منها وهو إلحاق الهزيمة بالتنظيم، وهو ما سمح بالحفاظ على نجاح البغدادي.

ج- الاستراتيجية الإعلامية المتطورة التي اتبعتها التنظيم سواء على المستوى المركزي أو على غير المركزي من قبل أنصار التنظيم في جميع أنحاء العالم.

د- تعيين البغدادي لنفسه "خليفة" جعله في - رأي يورام - يتفوق من حيث المكانة على "أيمن الظواهري" الزعيم الحالي لتنظيم القاعدة الأم، ونتج عن الانقسام بين تنظيمي القاعدة وداعش إعلان جماعات مختلفة ولائها وتبعتها للبغدادي كأَنْصار بيت المقدس في سيناء، جماعة بوكو حرام في نيجيريا، وجماعات أخرى في أفغانستان والقوقاز والفلبين، بيد أنه لم تغير الجماعات الإرهابية الرئيسية تحالفاتها مع تنظيم القاعدة الأم (كتنظيمات القاعدة في شبه الجزيرة العربية، القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، القاعدة في شبه القارة الهندية، جبهة النصرة، حركة الشباب الصومالية).

هـ- استغلال تنظيم داعش حالات الفوضى والإضطرابات الأمنية وضعف الحكومات المركزية في كل من ليبيا واليمن وتونس في أعقاب ثورات الربيع العربي من أجل إرسال مجموعات مدربة من مقاتليه للانضمام إلى مجموعات إرهابية محلية وإقامة تشكيلات عسكرية فعالة بغرض تأسيس

ولايات تابعة لتنظيم داعش في تلك الدول، ويلاحظ في ليبيا أن المناطق التي يسيطر عليها التنظيم تتزايد وهو ما يمثل مكسباً له يستخدمه كساحة للتدريب وملجأ، ومن المتوقع في المستقبل أن تكون بمثابة منطلق بديلة للتنظيم إذا تعرض لخسارة كبيرة في العراق وسوريا.

و- ارتباط النجاح العسكري لتنظيم داعش لاسيما في العراق -في رأي سيدهارث - بدمج التنظيم للشباب البعثي في صفوفه على أسس أيديولوجية، وتجنبه التحالف مع كبار البعثيين العلمانيين.

ز- إستفادة تنظيم داعش من أخطاء التنظيمات الإرهابية التي سبقته خلال فترة الاحتلال الأمريكي للعراق، حيث قام تنظيم داعش حينما استولى على الموصل بمساعدة تنظيمات أخرى باعتقال عشرات القيادات العسكرية والمخابراتية والقيادات البعثية في نظام صدام حسين في المدينة وبالتالي استطاع القضاء على المنافسين المحتملين له لأنهم قد يعقدون تحالفاً مع الحكومة العراقية المركزية لمحاربة التنظيم، ومن هؤلاء القائد السابق للقوات الخاصة بنظام صدام حسين "سيف الدين محمود المشهداني" الذي قد افرج عنه الجيش الأمريكي سابقاً، لكن اعتقاله تنظيم داعش مع عدد من رفاقه وساوام على حياتهم مقابل إعلان حزب البعث البيعة لتنظيم داعش في بيان رسمي يعلنه "عزة إبراهيم الدوري" الأمين العام للبعث.

داعش يوسع النطاق الجغرافي للعمليات العسكرية:

لقد اتجه تنظيم داعش وفق مراقبين إلى توسيع عملياته حول العالم من أجل تخفيف الضغط ضده في العراق وسوريا، وما يدل على ذلك الهجمات الإرهابية المتزامنة التي نفذتها عناصر تابعة إيديولوجياً لتنظيم داعش في كل من: الهجوم على منتجع سياحي بمنطقة سوسة الساحلية التونسية وتفجير مسجد شيوعي في الكويت والهجوم على مصنع للغاز في فرنسا يونيو ٢٠١٥، ومثلت تلك الهجمات مؤشرات جديدة بالغة الخطورة ويتوقع "يورام" في ضوءها أن تتكبد أي حملة تسعى لمحاربة تنظيم داعش خسائر بشرية كبيرة جداً في مختلف أنحاء العالم أي لن تقتصر على المناطق التي تخضع لسيطرة التنظيم في العراق وسوريا فقط.

ويشير "يورام" إلى أن توسيع نطاق عمليات داعش أثار قلق إسرائيل والتي اتجهت لمراقبة تطورات المشهد على طول حدودها لأنها تعتقد أنها ستكون الهدف المستقبلي لهجمات ذلك التنظيم أو

غيره من المنظمات والجماعات التابعة له سواء على الحدود الإسرائيلية أو من خلال استهداف المصالح الإسرائيلية في الخارج. وبناء عليه، يرى يورام أن على إسرائيل أن تسعى للمساهمة في المساعي الدولية التي تهدف لمحاربة تنظيم داعش، والقيام بأنشطة استخباراتية استباقية وإجراءات عملية من أجل التصدي لأي هجمات محتملة ضد إسرائيل والإسرائيليين.

مستقبل داعش في المنطقة:

من المرجح في رأي "يورام" أن تشهد الأيام القادمة استمرار قتال داعش - على سبيل المثال لا الحصر - ضد الجيش العراقي، وميليشيات الحشد الشعبي، والقوات الكردية التي تدعمها حالياً قوات التحالف الدولي والحرس الثوري الإيراني، وتعمل تلك القوات على تحرير مناطق مهمة استولى عليها تنظيم داعش الإرهابي وأبرزها مدينة الموصل وأجزاء من غرب العراق، وفي ذات الوقت سوف يتأثر التنظيم بالحرب السورية الدائرة، ويورد يورام سيناريوهات محددة لمستقبل تنظيم داعش الإرهابي، وهي أنه في حالة سقط نظام الأسد، فإن تنظيم داعش سيسعى للإستيلاء على مناطق وسط سوريا من خلال قتال قوات المعارضة المختلفة داخل سوريا بما في ذلك الجماعات السلفية الإرهابية كجبهة النصرة وتوابعها من الجماعات المتحالفة ضمن ما يُسمى بـ "جيش الفتح"، وإذا نجح التنظيم فإن ذلك سيساعده في إبراز دوره كلاعب إقليمي هام في المنطقة، وهذا الوضع سيخلق تداعيات خطيرة على الشرق الأوسط من المرجح أنها ستجعل قيادة المهام المشتركة للتحالف الدولي - العربي تضطر لزيادة النشاط العسكري للقضاء على داعش.

هناك قضية أخرى ربما تؤثر على مستقبل داعش وهي توجس أجهزة الأمن الغربية بشأن أهداف تنظيم داعش في شن هجمات إرهابية مستقبلاً داخل الدول الغربية (دول أوروبا - الولايات المتحدة الأمريكية - أستراليا) من خلال استغلال المقاتلين الأوروبيين في صفوفه بغرض تقويض وحدة التحالف الدولي، فكل الهجمات الإرهابية التي شهدتها سابقاً صُنفت ضمن عمليات محلية فردية لم تكن تحت قيادة أو إشراف تنظيم داعش مباشرةً.

من المتوقع أن تواجه الخطة الاستراتيجية التي وضعها الجنرال "جون ألن" المبعوث الرئاسي الأمريكي الخاص إلي التحالف الدولي لوقف توسع تنظيم داعش وهزيمته، تحديات أكثر خطورة وتعقيداً في المرحلة المقبلة، وتتضمن الخطة خمسة جهود أساسية، أولاً: العمل العسكري بهدف الحد

من الأراضي التي يسيطر عليه داعش من أجل تمزيق نقاط التماس والتواصل الجغرافي لتلك المناطق، وثانياً قطع الإمداد الاقتصادي والمالي، وثالثاً إنشاء مناطق محمية وملاذات آمنة للسكان المحليين حتى يحيوا حياة طبيعية، ورابعاً وقف تدفق المقاتلين الأجانب القادمين من سوريا في المقام الأول عبر الحدود مع تركيا، وأخيراً تنسيق الجهود (على المستويين: الخطابي والحركي) ضد نشر رسالة التنظيم في جميع أنحاء العالم، ويقترح يورام أن تضم تلك الحملة عناصر إسلامية حتى تحقق نتائج أفضل. كما أكد أن القضاء على داعش يتطلب جهداً هائلاً حتى لا نشهد فظائع مماثلة في السنوات القادمة بسبب نمو الجماعات الإرهابية.

وقد أشار "سيدهارث" أن الفرضيات التي تسترشد بها استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية تجاه تنظيم داعش الإرهابي تعني أن التنظيم بطبيعته محدود ذاتياً، وبسبب الاختلافات الإيديولوجية سوف ينهار التحالف المصلحي بين تنظيم داعش والجماعات المسلحة القومية العلمانية مثل تنظيم البعث السابق الذي أسس الجيش النقشبندي "رجال الطريقة النقشبندية" الذي أعطى قوة ومصداقية للتنظيم، لكن القبائل السنية العربية سوف تعارض الأعمال الوحشية والأرهابية التي يمارسها تنظيم داعش بجانب تفسيره المتشدد للشريعة الإسلامية، كما يتوقع "سيدهارث" أن تنجح الحكومة العراقية في الوصول للعرب السنة الذي ضاقوا ذرعاً بتنظيم داعش منذ فترة طويلة، وسوف يسهل الحرس الوطني العراقي الجديد دمج المعارضين القوميين والقبائل حتى ينضموا للمعارك ضد تنظيم داعش.

ومن هذا المنظور يرى "سيدهارث" أن استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية تجاه تنظيم داعش في العراق مازالت استراتيجية جزئية وأطلق عليها مسمى "مباراة الانتظار" بمعنى أنها تسعى لمنع حصول تنظيم داعش على مزيد من المكاسب في مقابل انتظار أن تنقلب القبائل العربية السنية ضد تنظيم داعش. بيد أنه قد تتجه الولايات المتحدة لتركيز اهتمامها بمحاربة تنظيم داعش في سوريا، إلا إذا استطاع داعش تعزيز سيطرته على مناطق شاسعة في العراق وقام بتعميق علاقته مع العرب السنة.